

## حافظ وهبة

(١٨٨٩ - ١٩٦٧)

ولد حافظ وهبة في حي بولاق بالقاهرة في ١٥ يوليو ١٨٨٩م، لأبوين مصريين، وتوفي رحمه الله في مدينة روما عاصمة إيطاليا ١٩٦٧م عن عمر ناهز الثمانين عاماً.

نشأ حافظ وهبة في أسرة متوسطة، تلقى تعليمه الأولي في " كُتَّاب الحي" وعمره ستة أعوام، فتعلم الكتابة والقراءة والحساب وأتم حفظ القرآن الكريم وتجويده في الحادية عشر من عمره، ثم التحق بالأزهر وتأثر بالشيخ "علي حسين البولاقى" الذي كان ثائراً ضد كثير من الطرق الصوفية لما تروجه من بدع وخرافات تلصقها بالدين، كما تأثر بدروس الشيخ "محمد عبده" وفطنته ورؤيته الشمولية وفصاحته وشجاعته في نقد المخطئين مهما كانت مكانتهم، لكنه لم يتلمذ على يديه، فقد توفي الشيخ محمد عبده سنة ١٩٠٦م.

حاول حافظ وهبة أن يلتحق بدار العلوم لكنه رسب في الفحص الطبي البصري، فالتحق بمدرسة القضاء الشرعي، التي أسسها سعد زغلول عندما كان وزيراً للمعارف، وقد أخذ العلم على كثير من المشايخ منهم محمد بخيت، ومحمد إبراهيم، ومحمد حسنين مخلوف والد مفتي الديار المصرية حسنين مخلوف، والشيخ الخضري. مارس حافظ وهبة خلال هذه المرحلة العمل السياسي مع الطلاب ضد الإنجليز، ومع ضغوط الإنجليز والخبديوي على المدرسة، قرر حافظ وهبة ترك الدراسة في السنة الثانية من القسم العالي على الرغم من ترتيبه المتقدم بين زملائه.

سافر حافظ وهبة إلى الأستانة ليلتحق بالعمل الصحفي مع مجموعة من العرب بزعامة الشيخ "عبد العزيز جاويش" فأصدروا صحيفة "الهلال العثماني"، لكنه اعترض على أسلوب الصحيفة والمجموعة في الترويج لحزب تركيا الفتاه - الذي يمول الصحيفة- وفي العالم العربي، فغادر الأستانة قاصداً الهند عام ١٩١٦، وفي طريقه

إلى الهند مكث فترة في الكويت تعرّف على حاكمها الشيخ "مبارك الصباح" وانتقده لإفراطه في فرض الضرائب على رعيته، كما انتقده لفتحه أسواق الكويت لقبائل العجمان لبيع ما نهبته من أهالي الأحساء، وشهد وفاته قبل رحيله على الهند. وأثناء تقديم واجب العزاء في وفاة الشيخ مبارك الصباح التقى حافظ وهبة لأول مرة مع عبد العزيز آل سعود سلطان نجد، وتبادلا أطراف الحديث حول المعاهدة البريطانية السعودية ١٩١٥، وكان وهبة قد انتقدها لاعتقاده أنها تدخل سلطنة نجد تحت الحماية البريطانية.

واصل حافظ وهبة رحلته إلى الهند، وفي بومباي ودلهي تعرف حافظ على كثير من تجار منطقة الخليج، وفي "كالكتا" تعرف على علماء الهند المسلمين ومنهم "أبي الكلام أزداد" وفي الهند اكتشف حافظ أن البيئة السياسية لا تختلف كثيراً عنها في مصر، فالإنجليز هم سادة الموقف.

علم حافظ وهبة أن السلطات البريطانية تسعى إلى ترحيله، لأنه يمثل خطراً عليها، وجاءت الموافقة بترحيله إلى مصر، فقرر الرحيل إلى البصرة عام ١٩١٨، لكنه حظ الرحال في الكويت، فنزل ضيفاً على صديقه الشيخ "يوسف بن عيسى القناعي" أحد تجار اللؤلؤ، فأعاد له تنظيم المدرسة المباركية ودرّس بها اللغة العربية والفقه والتاريخ، وتردد على مساجد الكويت واعظاً ومحذراً من الاستعمار الأجنبي. وفي الكويت توطدت أواصر الصداقة بين الشيخ حافظ وشباب الكويت وحكامه. تردد حافظ وهبة على البحرين واشترك عام ١٩٢٢ مع عيسى الفطامي في الطواشة (تجارة اللؤلؤ) فجاب موانئ الخليج، غير أن المعتمد البريطاني طالبه بمغادرة البحرين.

وفي البحرين التقى حافظ وهبة بعبد الرحمن القصيبي تاجر اللؤلؤ ووكيل عبد العزيز آل سعود في البحرين، فاقترح عليه أن يتصل بالسلطان عبد العزيز الذي يُكنى له كل احترام، فكتبه في عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م مؤيداً إياه ومباركاً خطواته وعارضاً بعض أفكاره السياسية والاقتصادية، ولم يخل الخطاب من تلميح بعرض خدماته، فاستحسن السلطان عبد العزيز ما ورد في الخطاب وأرسل للشيخ حافظ وهبة خطاباً في

٢٦ صفر ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م مع مبعوث رسمي (عبد الله النفيسي) يعرض عليه أن يلحق به في الرياض ليكون مستشاراً خاصاً، فقبل الشيخ حافظ وسافر إلى الرياض، فأحسن الملك عبد العزيز استقباله وطلب منه أن يعمل معه مستشاراً وأوصاه أن يصارحه ولا يتملقه، فرحب حافظ وهبه. والجدير بالذكر أن حافظ وغيره من المستشارين وصلوا إلى مكانة الوزراء لكنهم لم يتقاضوا أجراً ثابتاً إنما هبات سنوية.

أمر السلطان عبد العزيز أن يطلع حافظ وهبه على الصادر والوارد وأن يحرر المكاتبات السياسية بعد استشارة السلطان، وأشركه في مؤتمر الكويت ١٩٣٤م. استحث حافظ وهبه السلطان عبد العزيز سنة ١٩٢٤م على مهاجمة الشريف حسين وضم مقدسات المسلمين، غير أن السلطان تردد خوفاً من تدخل بريطانيا مرة أخرى فقد منعه من مواصلة ضم الحجاز سنة ١٩٢٢ بعد أن أباد الإخوان السلفيين جيش الشريف حسين في تربه، لكن حافظ أوضح له أن الظروف اختلفت ففقد الشريف حسين مصداقيته لدى الشعوب الإسلامية ولم تعد بريطانيا تعتمد عليه.

وفي أعقاب ضم آل سعود لمكة المكرمة عام ١٩٢٤م استعمل الملك عبد العزيز حافظ وهبه نائباً عنه في إدارة الشؤون المدنية لمكة، إلى جانب خالد بن لؤي الذي اختاره الإخوان النجديين وأصروا عليه، جاء اختيار ابن سعود لحافظ في هذا المنصب للتخفيف من غلواء الإخوان النجديين وقسوتهم في بلد الله الحرام وإدخال الطمأنينة في نفوس الأهالي، فتصدى لمحاولة خالد بن لؤي مصادرة أموال الأهالي الفارين من مكة إلى جدة، موضحاً له أن الفرار جاء نتيجة الخوف من تكرار مأساة الطائف، وليس بهدف تأييد الشريف حسين.

وكان حافظ وهبه والشيخ عبد الله الطريقي في طليعة أعضاء مجلس إدارة شركة أرامكو من الجانب السعودي، كما استعان الملك عبد العزيز بحافظ وهبه في التفتيش الإداري والديني مرافقاً للمشايخ للتخفيف من شدتهم.

وفي أعقاب توحيد المملكة صمم حافظ وهبة العلم السعودي متضمناً الشهادتين والسيف، رمزاً للتوحيد والقوة، ومن ثمّ تميّز بأنه العلم الوحيد في العالم الذي لا ينكس لأي سبب من الأسباب. وعندما أنشأ الملك عبد العزيز مجلس المعارف ١٩٢٦ عهد بإدارته إلى عدد من الرجال كان ثالثهم حافظ وهبة الذي استعان بخبرات تدريسية مصرية لتعميم التعليم في أرجاء المملكة.

مهد حافظ وهبة العالم الإسلامي لتقبل فكرة ضم آل سعود للحجاز بمنشورات حماسية وزعت باسم الأمير فيصل بن عبد العزيز على العالم الإسلامي استتكر فيها إعلان الشريف حسين نفيه خليفة للمسلمين، كما أهاب بالعالم الإسلامي أن يتصدى لأفعال الشريف حسين المناهية للإسلام ومنها؛ فشله في حماية حجاج بيت الله الحرام، ومنعه مسلمي نجد من أداء فريضتي الحج والعمرة واستبداده بحكم الحجاز.

وفي المؤتمر الإسلامي بمكة يونيو ويوليو ١٩٢٦ رأس الملك عبد العزيز الجلسة الافتتاحية وألقى حافظ وهبة كلمة ملك الحجاز وسلطان نجد نيابة عنه، بينما رأس جلسات المؤتمر الشيخ الظواهري شيخ الأزهر، ولعب حافظ وهبه دوراً كبيراً في تهدئة الأجواء بين الوفود في أروقة المؤتمر الذي امتد شهراً كاملاً، وانتهى بالاعتراف بابن سعود ملكاً على الحجاز، وتصحيح مفهوم السلفية في أذهان وفود العالم الإسلامي، وإن بقي الملك فؤاد لا يعترف بملك آل سعود في الحجاز.

وكان لحافظ وهبة الفضل في توثيق العلاقات السعودية المصرية، لمعرفته أن توثيق هذه العلاقات سيشكل قوة للأمة العربية؛ فإبان حصار السلطان عبد العزيز لمدينة جدة ١٩٢٥ / ١٩٢٦م أرسله إلى مصر لبحث إمكانية دخول الحجاج المصريين عن طرق ميناء رابغ، وعندما وقعت أزمة المحمل المصري رافق الشيخ حافظ وهبه الأمير سعود نجل الملك عبد العزيز إلى مصر في صيف ١٩٢٦ لتخفيف حدة التوتر بين البلدين، وعلى الرغم من عدم اعتراف الملك فاروق بملك آل سعود في الحجاز إلا أن مصر وجهت الدعوة للأمير سعود عندما أصابه الرمد لتلقي العلاج في مصر

وأحسنت استقباله يرافقه الشيخ حافظ وهبة، ثم صفت العلاقات بين البلدين مع بداية عهد الملك فاروق، بمعاهدة صداقة في مايو ١٩٣٦م.

لعب حافظ وهبة دور المفاوضات السعودي مع بريطانيا من واقع مسئوليتها كدولة قائمة على الانتداب في العراق وشرق الأردن خلال الفترة من (١٩٢٥ - ١٩٣١) فتمكن من رسم الحدود بين نجد وشرق الأردن في اتفاقية حداء ١٩٢٥ مع السير جلبرت كلايتون، الذي اندهش لمرونة حافظ وهبة في المفاوضات وهو الذي طارده بريطانيا في مصر والهند والبحرين، ثم واصل حافظ وهبة دوره مع بريطانيا لحل المشكلات على الحدود العراقية والتعهد بعدم إيواء المجرمين داخل الأراضي العراقية.

توجت جهود حافظ وهبة في التوفيق بين السعودية وبريطانيا باختياره أول وزير مفوض سعودي في لندن عقب إنشاء وزارة الخارجية السعود ١٩٣٠، ثم عُين سفيراً في لندن عام ١٩٤٨م، فكان أول سفير للسعودية في لندن، وكان لحافظ بصمات واضحة في تطوير العلاقات بين الدولتين، فواصل الطرفان علاقاتهما وفق الإطار الدبلوماسي والسياسي، وتمكنا من حل كثير من الإشكالات والمواقف السياسية من خلال الحوار والتفاوض، لاسيما المشكلات الحدودية، كما تمكنا من الارتقاء بالتعاون السياسي والاقتصادي والعسكري بين البلدين إلى مستويات عالية.

وعلى صعيد العلاقات السعودية الكويتية كان للشيخ حافظ وهبه باع في تنقية الأجواء بين البلدين وحل النزاع الاقتصادي الذي دام أكثر من عقدين من الزمان، استفاد حافظ في مهمته هذه من علاقاته المتميزة مع أمراء الكويت وأهله فكانت الكويت أول بلد عربي ألقى به حافظ عصا الترحال، وبعد مفاوضات مع الوكيل السياسي بالكويت استمرت أسبوعين تمكن حافظ وهبة من عقد معاهدة صداقة وحسن جوار ومعاهدة تجارية واتفاق لتسليم مع الكويت في ٢٦ محرم ١٣٥٩هـ / ٥ مارس ١٩٤٠م

وفي العلاقات السعودية العراقية أسند الملك عبد العزيز إلى حافظ وهبة مهمة تنقية الأجواء بين البلدين خلال الفترة من (١٩٣٦ - ١٩٤٠) فقام بها على خير وجه ورتب

عدة زيارات رسمية متبادلة، وتمكن من إزالة الجفوة فكافأه الملك عبد العزيز بساعة ذهبية وسيف وخنجر وصرة نقود.

كما كان للشيخ حافظ وهبة الفضل في التمهيد للعلاقات السعودية-اليابانية عام ١٩٣٨م عندما قام بزيارة اليابان لحضور افتتاح مسجد طوكيو. واستعان الملك عبد العزيز بخبرة حافظ وهبة في الاجتماعات التحضيرية لتأسيس جامعة الدول العربية، كما رافق الأمير فيصل بن عبد العزيز وزير الخارجية في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٦، وفي لندن تبني حافظ وهبة موقف الملك عبد العزيز إزاء القضية الفلسطينية فأعلن رفضه لتدفق الهجرات اليهودية على فلسطين، وأنكر على فليبي ما أبداه في محاضرة له بلندن من قبول زعماء العرب لفكرة تقسيم فلسطين، وأوضح أن حكام العرب وفي مقدمتهم الملك عبد العزيز يرفضون فكرة التقسيم، كما رفض طلب الزعيم الصهيوني بن جوريون مقابلة الملك عبد العزيز في سنة ١٩٣٨م.

ولحافظ وهبه كتابان عن المملكة العربية السعودية هما: " جزيرة العرب في القرن العشرين" الذي صدرت الطبعة الأولى منه في ديسمبر من عام ١٩٣٥ أثناء وجوده في لندن، ثم صدرت الطبعة الأولى من كتابه الثاني "خمسون عاماً في جزيرة العرب" عام ١٩٦٠ إبان عمله سفيراً في المملكة المتحدة أيضاً، سجل في الكتابين تاريخ الدعوة السلفية والدولة السعودية وبخاصة تاريخ الملك عبد العزيز ورحلاته وخطبه ومقولاته وجهوده في تأسيس المملكة، كما وثق حياة الملك سعود وجانب كبير من حياة الملك فيصل أيضاً.

وتستمد كتاباته أهميتها من موقعه من الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود وأبنائه، فقد كان يرافقه وينقل عنه شفاهة، لذا يعتبره المؤرخون السعوديون والمهتمون بتاريخ المملكة توثيقاً شفهيّاً ورؤية معاصرة للأحداث وسجلاً لتاريخ المملكة العربية السعودية حتى سنة ١٩٦٧.

-----

المراجع:

- جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبه (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ٥، ١٩٦٧)
- خمسون عاماً في جزيرة العرب، حافظ وهبه (مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠)
- فاروق عثمان أباضه، حافظ وهبه مستشار شخصي للملك عبد العزيز آل سعود (١٣٤٢ - ١٣٧٣هـ / ١٩٢٣ - ١٩٥٣) (بحث مقدم لندوة العلاقات المصرية السعودية بجامعة الزقازيق ١٩٨٧، نشر خاص)
- صحيفة الشرق الأوسط، العدد ١٠٧٧٠، في ١٣ مايو ٢٠٠٩م
- صحيفة الجزيرة، العدد ١٣٥١٤، ٩ شوال ١٤٣٠، الموافق ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٩م